إرتيريا(*) ! . .

تقع إرتيريا في الجزء الشمالي الشرقي من وسط أفريقيا وتتمتع بموقع استراتيجي هام عند مدخل البحر الأحمر . ولقد سكنت إرتيريا أمم كثيرة أثناء عبورها من آسيا إلى أفريقيا ، ولهذا الأمر يشير الأصل اليوناني للتسمية (ماري اريتيريان) . وتكوّن رقعتها مساحة 124.800 كيلو متراً مربعاً يسكنها 3.875.000 نسمة يشكل المسلمون نسبة ٩٣% منهم ، وتعتبر اللغة العربية لغة أهل البلاد . ويشتغل أكثر أهلها بالزراعة ، إلاّ أن الأراضي الصالحة للرعي تكوّن عشرة أضعاف الأراضي الزراعية . وتتمتع إرتيريا بثروات معدنية ضخمة من البترول والحديد والذهب ، ويسيطر الرأسمال الأجنبي على التجارة الإرتيرية ، ولقد تسللت إسرائيل إليها عن طريق الحكم الحبشي فكوّنت فيها شركات عديدة ، منها شركات لتربية الماشية والزراعة والصيد .

العداء النصراني للمسلمين في إرتيريا عبر التاريخ

لقد دخل الإسلام إرتيريا منذ السنوات الأولى من حياة الدعوة في مكة ، حيث هاجر إليها في شهر رجب سنة ٨ قبل الهجرة مجموعة من كبار الصحابة ، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون الذين هاجروا بدينهم من أذى قريش فوجدوا عند النجاشي ملك الحبشة أول أيامهم الأمن والاستقرار . إلاّ أنّ البطارقة قرروا فيما بينهم إيذاء المسلمين وحملهم على ترك دينهم ، بعد أن أسلم النجاشي سراً ، فجعلوا يؤلّبون القبائل الحبشية ضده غير أنّه انتصر على أعدائه ومكّن لمجموعة كبيرة من الصحابة زاد عددهم على الثمانين من الاستقرار ، فتكونت بذلك أولى الجاليات الإسلاميّة هناك . ولقد كان العداء بين البطارقة والمسلمين الأوائل نقطة البداية في العداء التقليدي بين المسلمين والنصارى في تلك البلاد .

ثمن أرسلت حملة من ٣٠٠ رجل بقيادة علقمة الكناني في عهد بن الخطاب لنشر الإسلام هناك ، إلاّ أنّ الكنيسة أوغلت صدور أتباعها ضدهم فقتلوا العلماء ونكلوا بهم .. وكانت هذه الجولة الثانية في العداء النصراني للإسلام هناك .

أمّا في عهد الدولة الأموية فقد أرسل عبد الملك بن مروان حملة استطاعت الاستيلاء على جزر دهلك على بعد ٦٠ كيلو متراً من مصوع فكانت هذه الجزر القنطرة التي انتشر منها الإسلام في إرتيريا وشرقي الحبشة .

وباضطهاد الشيعة في العهد العباسي انتقل إلى إرتيريا كثير منهم فكان لهم أثر كبير في انتشار الإسلام بين القبائل الوثنية في إرتيريا فساد الوئام بينها مما دعاها إلى الوحدة تحت لواء الإسلام ، وبذلك تكونت لإرتيريا مع الزمن

سلطنات مستقلة عن الحبشة قامت تعمل لنشر الإسلام مما دعا الأحباش إلى شنّ حروب عدوانية فاتخذ الصراع بين الإسلام والنصرانية شكل حروب منظمة .

ولقد خضعت إرتيريا للدولة العباسية حتى سنة ١٥١٧م حيث انتقل الحكم فيها إلى الأتراك العثمانيين . وفي سنة ١٨٦٦م تنازلت الدولة العثمانية عن إرتيريا والصومال إلى الحكومة المصرية أيام الخديوي إسماعيل ، وبظهور الحركة المهدية في السودان انسحبت القوات المصرية من إرتيريا .

وجاء بعد ذلك الاستعمار الإيطالي إلى إرتيريا سنة ١٨٨٠م فأرى المسلمين هناك ألواناً من الاضطهاد والاستعباد ، وقد حاول أهل البلاد الخلاص منه دون جدوى حتى انهزمت إيطاليا باحتلال الإنكليز لإرتيريا سنة ١٩٤١م .

ومنذ عهد حكم الإدارة البريطانية بدأت الحبشة الإعداد لبسط سلطانها على إرتيريا ، ولقد لعبت الكنيسة لفكرة دمج إرتيريا بالحبشة . وتدل الوثائق التاريخية على وجود وعد صريح قطعته الحكومة البريطانية للإمبراطور الحبشي هيلا سلاسي يقضي بضم إرتيريا إلى إمبراطوريته فتكونت أحزاب تنادي بفكرة الاندماج منها حزب حب الوطن وحزب الانضمام الذي كان يضم الإرهابيين وكان نتيجة لذلك أن تكوّن حزب الرابطة الإسلاميّ الذي كان ينادي بالاستقلال .

ولقد عانت البلاد من جراء الأطماع الاستعمارية الحبشية ألواناً من الإرهاب مروعة راح خلالها آلاف الضحايا من الشهداء ، وكان من نتيجتها تزوير نتائج الاستفتاء التي استندت إليها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م . ووقع الخلاف بين الدول الكبرى مما دعا إلى تشكيل لجنة جديدة للتحقيق وقع الخلاف فيها هي الأخرى ، فقررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة إعطاء إرتيريا الاستقلال الذاتي ضمن دولة اتحادية مع الحبشة على أن تتكون لإرتيريا حكومة ذات دستور وهيئة تشريعية يشكل المسلمون نصفها ، ورغم أن هذا الحل يعد إجحافاً صريحاً بحق المسلمين في بلادهم وتمكيناً للحبشة منهم ، إلاّ أن الحبشة لم تعبأ بقرارات الأمم المتحدة واحتلت سنة ١٩٥٢م إرتيريا احتلالاً عسكرياً وقام هيلا سلاسي باختيار حاكم عام للبلاد وشكل رئيس حزب الاتحاد مع الحبشة حكومة تنفيذية بدأت في تطبيق السياسة الحبشية في البلاد التي كان من أبرز ما فيها التنكيل بالمسلمين وإبادتهم ، ومنع اللغة العربية واستبدال المحاكم الشرعية بمحاكم مدنية ثم استئصال المسلمين من أراضيهم الخصبة وإسكان النصارى في الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها . ولعل أبرز مثال على الاستيطان النصراني في البلاد تزايد تعداد السكان النصارى في ميناء عصب من ٤٠٠ نسمة عام ١٩٥٢م إلى ١٥ ألف نسمة عام ١٩٥٦م .

وفي سنة ١٩٦٢م ضمت الحبشة إرتيريا إليها رسمياً مما زاد الأوضاع السيئة سوءاً إلى سوء .

وكانت الشرارة الأولى للثورة قد انطلقت في سنة ١٩٦١م ، وتشكلت جبهة التحرير الإرتيرية ، واستمرت الثورة منذ ذلك الحين تقوى وتضعف ، وتمتد وتنحسر ، وتشتد أو تهدأ حسب أوضاعها الداخلية والظروف المحيطة بها عربياً ودوليا .

وقامت الثورة الحبشية في العام الماضي وتولى الجيش السلطة في البلاد ، ولكن عناد المجلس العسكري الحبشي الحاكم وجحوده لحق الإرتيريين في الحرية والاستقلال سدّ الطريق على كل تفاهم سلمي ، وانفجر الوضع في إرتيريا انفجاره الكبير الأخير ، ووثبت الثورة وثبتها الكبيرة الشاملة وارتفعت حرب التحرير إلى مستوى جديد حاسم .

ونحن نكتب الآن هذه السطور والجيش الإثيوبي يحاول بكل إمكاناته وبكل الوسائل الوحشية الدموية أن يقضي على الثورة الممتدة المضطرمة .. وأنباء المعارك والقمع الوحشي الأعمى تصل إلينا عبر الصحف والإذاعات فتدمي القلوب وتثير الحماسة والأمل في ذات الوقت ، وتهتف بالعرب والمسلمين وبكل إنسان حرٍّ شريفٍ إلى المبادرة إلى القيام بالواجب .

(*) اعتمدنا في المعلومات الواردة في هذا المقال بشكل رئيسي على كتاب (إرتيريا والحبشة) للأستاذ محمود شاكر من سلسلة (مواطن الشعوب الإسلاميّة) .